أدب السخرية في الأدب الأندلسي

قردان الميلود
المركز الجامعي تيبازة

مقدمة:

لا يكاد يخلو أدب أمة من الم الماضية والحاضرة من ظاهر السخرية التي تطبع الآداب بطبيعة فكاهية مرحة في بعض الأحيان، وقد تكون سوطا مؤلما في أحايين كثيرة من حيث كونها وسيلة علاج أو مقاومة، لأنها تحبب لنا الحياة وتكسوها بثوب قشيب، مثلما تعتذب العقول والأذواق.

والأدب كغيره من الآداب الأخرى عرف ظاهرة السخرية بألوان وأشكال، كالفكاهة والدعابة،والتعريض، والرد بالمثل، وغيرها من الصور الكثيرة والمتعددة لهاته الظاهرة النفسية والأدبية، ولعل مما ساعد على شيوعها ونموها في الأدب الأندلسي هو الطبيعة الخلابة لشبه الجزيرة الإليزية والروح المرحة المتهكمة التي يتسم بها سكانها.

السّخرية في العصر الأندلسي:

عُني الأندلسيون كأشقّائهم المشارقة بالفكاهة الأدبية، وقد وردت بألفاظ متعدّدة كالدّعابة والهزل والمجون في معرض وصفهم لمن ترجموا لهم من كتاب وأدباء وشعراء، أو فيما خلّفوه من آثار أدبية خالدة شعرية كانت أم نثرية، والتي تشهد على روح الدّعابة والفكاهة التي ميّزت أهل الأندلس، التي لا يخلو بعضها من السّخرية اللاذعة، كرسالة ابن شهيد وابن زيدون، وشعر ولادة بنت المستكفي التي لا تختلف أشعارها الساخرة عن أشعار ابن الرومي وهجاء بشار.

يقول صاحب النفح: "وأسأل من مُبلغِ السائلين ما يرجون: أن يصفح عن زلاّتي، ويسامحني فيما أوردت في هذا الكتاب من الهزل والمجون، الذي جرَّت المناسبة إليه والحديث شجون، وما القصد منه إلاّ ترويح قلوب الذين يسوقون عيس الأسمار ويزجون[1].

وقال في موضع آخر واصفا روح الفكاهة والدّعابة عند الأندلسيين: "ولأهل الأندلس دعابة وحلاوة في محاوراتهم وأجوبة بديهية مُسكِتة[2].

أمّا صاحب الذّخيرة فيصف أحد ظرفاء قرطبة وهو الشّاعر ابن ذكوان الذي اشتهر شعره بالمجون فيقول: "فجاء فيه طرفا ليست وراءه غاية، يصوّر القلوب برقّة ظرفه وحرارة نادرته، ولا يكاد أحد يمَكِّنُه من أذنه إلا أخذ بفؤاده رقّة وحلاوة، ويشوبها ببعض الهزل عند انبعاث النادرة[3].

وكان ابن عبد ربّه في طبعه ميَّالا للدّعابة والمزح والفكاهة، وقد "أثّر هذا الميل فيما نقله في "عِقْدِه" عن أخبار المتقدّمين من ناحية نوعها، وطريق سردها، فترى فيها كتابا خاصا في الفكاهات والمِلَح، ويرى القارئ في هذا الكتاب كثيرا من القصص الشائقة، التي يظهر فيها ابن عبد ربّه قصد إلى الفكاهة في تدوينها لا إلى التاريخ[4].

والفكاهات في نظر ابن عبد ربّه" نزهة النفس وربيع القلب، ومرتع السمع، ومجلب الرّاحة، ومعدن السّرور[5].

ويصف في موضع آخر من عقده الطّرائف والنّوادر فيقول:"فكأنّها أنوار مزخرفة أو حُللٌ منشرة، دانية القطوف من جاني ثمراتها، قريبة المسافة لمن طلبها، فإذا تأمّلها النّاظر، وأصغى إليها السّامع وجدها ملهى للسمع، ومرتعا للنظر، وسكنا للروح، ولقاحا للعقل، وسميرا في الوحدة، وأنيسا في الوحشة، وصاحبا في السفر، وأنيسا في الحضر[6].

ويصف ابن الخطيب صديقا له من غرناطة، يدعى إبراهيم النميري، ويُعرف بابن الحاج بأنّه:" كان مليح الدّعابة، طيّب الفُكاهة، آثر المشرق فانصرف عن الأندلس في محرم عام سبعة وثلاثين وسبعمائة، وألمَّ بالدول محرّكا إيّاها بشعره، هازًّا أعطافها بأمداحه، فعُرِف قدره، وأُعين على طِيَّته، فحجّ وتطوَّف، وقيَّد واستكثر، ودوَّن في رحلة سفره. من تواليفه: المساهلة والمسامحة في تبيين طرق المداعبة والممازحة، وتنعيم الأشباح بمحادثة الأرواح وإيقاظ الكرام بأخبار المنام[7].

وتحفظ لنا كتب التّراث الأندلسي سير أعلام الفكاهة، فالشّاعر أبو عامر بن شهيد كان:"في تنميق الهزل والنادرة الحارّة أقدر منه على سائر ذلك[8]، فرسالة "التوابع والزوابع" التي أبدعها ابن شهيد تُعدّ مصنّفا قائما بذاته في "فنون الفكاهة وأنواع التّعريض والأهزال، برّز فيها شأوه، وبقّاها في الناس خالدة بعده[9].

ومن أدباء الأندلس الذين لهم باع طويل في توظيف السّخرية والتّهكّم، ابن زيدون، الذي عمد إلى الفكاهة المتهكّمة، حين ألّف رسالة في السّخرية من ابن عبدوس مُنافسِه على حُبِّ الأديبة الشّاعرة ولاّدة بنت المستكفي.

وقد سُمّيت هذه الرسالة برسالة ابن زيدون أو الرسالة الهزلية، هذه الرسالة المتخمة بالمبالغات والتهويلات السّاخرة، وكأنّنا نقرأ رسالة التربيع والتدوير للجاحظ مع ابن عبد الوهاب.

ومع ذلك لم يقتصر هذا الفن- الفكاهة والسّخرية- على معشر الرجال، بل إنّ النساء الأديبات تميّزن بحضور النادرة وسرعة التمثيل وخفّة الروح "فكان لهن اليد الطولى في البلاغة، كي يعلم أن البراعة في أهل الأندلس كالغريزة لهم، حتى في نسائهم وصبيانهم[10].

وكنّ مجلّيات في مجال المداعبة، ولكن ما لهنّ من ذلك لم تروه الكتب واكتفى به نوادر محكية. ومن أشهرهنّ ولاّدة بنت المستكفي، ونزهون بنت القلاعي الغرناطية، ومهجة بنت التيّاني القرطبية وغيرهن.

وتحفظ لنا مصادر الأدب الأندلسي نصوصا من النّثر الفكاهي، تدور حول مسألة بسيطة يشترك فيها أديبان أو أكثر، ويتبادلون الردود حولها مضمِّنين ردودهم أمثالا وحكما وأشعارا، ومن هؤلاء طائفة الفقهاء وجماعة الأشياخ العلماء، فإنهم في تنادرهم يعبّرون عن الرّوح الفقهي والعلمي، وقد سلك هذه الطّريقة أبو بكر بن الحسن المرادي القروي الذي "سقط كاتب له كان يُكنّى بأبي الأصبغ عن دابّته، وقام بأثر جرح في وجهه، ثمّ اتّفق أن سقط إثر ذلك أيضا المرادي، وقام دون أثر عليه، فقال أبو الأصبغ: وهذا الفقيه أيضا قد سقط، فقال المرادي من جملة أبيات:

فشتّانَ بين وُقوعِي أنَا وبينَ وقوعِ أبِي الأصْبُغِ
فذاكَ سُقوطٌ يَشُجُّ الوُجُوهَ وهَذَا سُقُوطٌ كَمَا يَنْبَغِي[11]

ومن النوادر التي تورى عن أبي علي الشلوبيني- إمام نحاة المغرب - أنّ ابن الصابوني - شاعر إشبيلية - وكان يلقّب بالحمار؛ لاججه في مسألة، فقال له: كذا هي يا حمار يا حمار؟ إلى أن تدرّج حتّى قال: يا ملء السماوات والأرض حميرا، ثم جعل إصبعيه في أذنيه وزحف إلى أذيال الحُصُرِ وهو ينهق كالحمار[12].

أمّا يحي السرقسطي المعروف بالجزّار فكان أديبا، مدح ملوك بني هود ووزراءهم، ثمّ ترك الأدب والشّعر وعكف على القصابة "فأمر الحاجبُ ابن هود الوزير أبا الفضل بن حسداي أن يوبّخ يحي هذا على رجوعه إلى الجزارة وهجره للأدب والشّعر، فخاطبه بأبيات أوّلها:

تَرَكْتَ الشِّعْرَ مِنْ ضُعفِ الإصَابَةَ وعُدتَ إلى الدّناءةِ والقَصَابَةَ[13]

فأجابه يحي بأبيات في غاية السّخرية من الوضع الذي آل إليه، ويعيب على الحاجب استخفافه بالجزارة التي لو علم ما فيها من فضل وخير لما رضي بالحجابة.

يقول يحيى السرقسطي:

تَعِ يبُ عَلـيّ مألوفَ القَصَابَةَ ومَن لَم يدرِ قَدرَ الشّيء عَابَه
وَلَوْ أَحكَمتَ منهـا بعض فـنٍّ لما اسْتبدَلْتَ منها بالحِجَابَة
أمَّا ولو أطَّلَعْتَ عَلَيّ يَومًـا وحَولِي من بني كلبٍ عِصَابه
فتَكْنا في بني العَنْزِيّ فَتْكًا أَقرَّ الذُّعرَ فِيهِم والمَهَابَه
ولم نُقلِعْ عن الثَّورِي حَتّى مَزَجْنا بالدّمِ القَانِي لُعَابَه[14]

ويصف يحي نفسه وما يلاحقه من خيبة وشؤم بأسلوب ساخر يذكّرنا بابن الرومي فيقول:

لَوْ وردتُ البِحارَ أطلبُ مَاءً جَفَّ قَبلَ الوُرودِ ماءُ البِحَارِ
أَو لَمَستُ العُودَ النَّضيرَ بِكَفِّي لَذَوى بَعدَ نُضْرَةٍ وَاخْضِرارِ
أَوْ رَمَى بَأْسِي النُّجُومَ الدَّرَارِي لانْزَوَى ضَوْؤُهَا عَنِ الأَبصَارِ
ولَوْ أَنِّي بِعْتُ القَنَادِيلَ يَومًا أَدْهَمَ اللّيلُ في بَياضِ النَّهَارِ [15]

وسخر الأندلسيون من بعض القضاة المغفّلين كما هو الشّأن مع القاضي يخامر بن عثمان، وكان من مغفّلي الأندلس المشهورين، وكانت غفلته مثار تندّر الأدباء في ذلك العصر، فقد وقع في يد- "عبد الله بن الشمر – شاعر عبد الرحمن بن الحكم ونديمه–سحاءات – أي قراطيس، يخامر بن عثمان التي كان ينادي بها للخصوم للتقدم إليه، فوضع سحاءة مكتوب عليها يونس بن متّى والمسيح بن مريم، وخرجت السحاءة إلى يده — القاضي – فأمر أن يدعى له بها، فهتف الهاتف: يونس بن متّى والمسيح بن مريم، واتّصل الهاتف بخارج المجلس ولا مجيب إلى أن صاح بن الشمر، إنّ نزولهما من أشراط الساعة، ثمّ تناول سحاءة فكتب فيها:

يُخَامِر لا تَنفكُّ تَأتِي بِفَضْحَةٍ دَعوتَ ابنَ متّى والمَسيحَ ابنَ مريمَا
فَثَوّبَ فِينَا ثمّ نَادَاكَ صَائحٌ فَإنّهُمَا لمَا علَى الأَرضِ يُعْلَمَا
قَفَاكَ قَفَا جَحْشٍ وَوجهُكَ مُظْلِمٌ وَعَقْلُكَ مَا يَسْوى مِنَ البَعرِ دِرْهَمَا
فَلاَ عِشْتَ مَوْدُودًا وَلاَ رُحْتَ سَالِمَاَ لاَ مِتَّ مَفْقُودًا وَلاَ مِتَّ مُسْلِمَا[16]

تتجسّد صورة السّخرية في تصرّف القاضي حينما نادى على يونس بن متّى والمسيح بن مريم، وتتضاعف السّخرية بقول بن الشمر:إنّ نزولهما من أشراط السّاعة. مثلما عبرّ عنه في أبياته الشّعرية التي تفيض تهكّما وسخرية بهذا القاضي المغفّل، لاسيما البيت الثالث منها.

وممّا يُروى أنّ المعتمد بن عبّاد أصبح يوما ثملا فدخل الحمّام، وأمر أن يدخل معه أبو الوليد البطليوسي المشهور بالنحلي، فلما جاء قعد حتى يأذن له، فجعل المعتمد يحبق في الحمام وهو خال، وقد بقيت في رأسه بقيّة من السّكر، وجعل كلّما سمع دوي ذلك الصّوت يقول: الجوز، اللوز، الفسطل، ومرّ على هذا ساعة، إلى أن تذّكر النحلي فصادفه، فلما دخل قال له: من أيّ وقت أنت هنا؟ قال: من أوّل ما رتّب مولانا الفواكه في النّصبة، فغشي عليه من الضّحك وأمر له بإحسان. والنّصبة: مائدة يصبّون فيها هذه الأصناف[17].

وسخر الشّاعر أبو بكر محمد المشهور بالأبيض، من الزّبير الملثّم صاحب قرطبة، فصوّره عاكفا على الضّلالة والفجور مع وزيره، وهو يكثر من السجود، غير أنّ سجوده هذا ليس في العبادة وإنّما بين الكؤوس ونغمة الأوتار،

التي إذا مسّها تعالت وراءه أصوات القيّان ورنّات المزمار، وبهذا يكون الشّاعر قد فضح صاحب قرطبة ووزيره وخلع عنهما ذلك الستار الذي كانا يختبئان وراءه، فيكشفهما على حقيقتهما في سخرية وازدراء. فيقول:

عَكَفَ الزُّبَيرُ عَلىَ الضَّلاَلَةِ جَاهِداً وَوَزِيرُهُ المشهُود كلبُ النَّارِ
مَازَالَ يَأخُذُ سَجْدَةً في سَدةٍ بَينَ الكُؤُوسِ ونَغمةِ الأَوتَارِ
فَإذاَ اعْتَرَاهُ السَّهوُ سَبَّحَ خَلفهُ صَوتُ القِيَّانِ وَرَنّةُ المِزْمَارِ[18]

كما حفلت مصادر الأدب الأندلسي بالكثير من الفكاهات المبنية على التّهكّم بالعيوب الجسدية أي الجسد وما يتّصل به، كاللحية والأنف والأقفاء والثياب، ومن ذلك قول أبي علي إدريس بن اليمان العبدري في لحية طويلة عريضة:

لَوْ أنّهَا دُونَ السَّمَاءِ سَحَابَة لَمْ تَخْتَرِقْهَا دَعْوةُ المَظْلُومِ [19]

غرابة هذه اللّحية جعلت الشّاعر يصوّرها كأنها سحابة سوداء قاتمة اللّون تحجب نور الشّمس ووجه السّماء، بل حتى دعوة المظلوم لا يمكنها اختراقها أو النّفاذ منها بالدّعاء، فالشّاعر يشير إلى الحديث الذي يؤكّد أنّ دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب.

وحصل جفاء بين الشّاعر ابن زيدون والشّاعرة ولاّدة بنت المستكفي، وصلت إلى حدّ القطيعة بينهما، ونشبت بينهما معركة هجائية ساخرة حاميّة الوطيس، يقول ابن زيدون متّهمًا بنت المستكفي بالابتذال ومخبرا إيّاها بعدوله عن حبّها:

قَدْ عَلِقنَا سِوَاكَ عِلْقًا نَفِيسًا وصَرَفْنَا إلَيهِ عَنْكِ النُّفُوسَا
وَلَبِسْنَا الجَدِيدَ مِن خَ ِع الحُبِ ولمْ نألُ أنْ خَلَعْنَا اللُّبُوسَا
لَيسَ مِنكِ الهَوَى وَلاَ أَنتِ مِنهُ اهْبِطِي مِصرَ أَنتِ مِنْ قَومِ مُوسَى[20]

ولم يقتصر أسلوب التّهكّم والسّخرية على أدباء الأندلس، بل تعدّاه إلى أدبياتهم الظريفات اللائي أتقنّ فنون التّهكّم والاستهزاء، والذي يصل إلى حدّ الهجاء المقذع كما هو شأن الشّاعرة الأديبة ولاّدة بنت المستكفي.

فقد هجت ابن زيدون هجاء مرا، ومن أخفِّ ما قالته في حق ابن زيدون وفتاه عليّ:

إنّ ابنَ زَيدُونَ عَلى فَضْلِهِ يَغْتَابُني ظُلمًا وَلاَ ذَنْبَ لِي
يَلحَظُنِي شَزْرًا إذاَ جِئتُهُ كَأنِّي جِئْتُ لأَخْصِي عَلِي[21]

"إنّ هذا الهجاء الفاحش والكلام البذيء لا نكاد نصدّق أنّه لرجل من دهماء الشّعب وسوقة الناس فضلا عن كونه لامرأة من البيت الأموي[22]، فردّ عليها ابن زيدون؛ في رسالته الهزلية التي جعلها على لسانها، وقصد بها غريمه ابن عبدوس، الذي كان يزاحمه في حُبّ ولاّدة.

فضرب ابن زيدون عصفورين بحجر من خلال هجاء ابن عبدوس هجاء مقذعا، وجعله على لسان ولاّدة وشهّر بها في أشعاره:

عيّرْتُمُونَا بِأنْ صَارَ يَخْلُفُنَا فِيمَن نُحِبُّ، ومَا في ذَلِكَ عَار
أكلٌ شَهِيٌّ أَصَبْنَا مِنْ أَطَايِبِهِ بَعْضًا، وَبَعضُ قَد صَفَحْنَا عَنهُ للفَار[23]

ويقصد بالفأر "ابن عبدوس".

ولم تكن ولاّدة وحدها في مضمار الهجاء السّاخر، بل كان إلى جانبها أسماء أخرى، كنزهون بنت القلاعي الغرناطية، ومهجة بنت التيّاني القرطبية وغيرهن.

جاء في نفح الطّيب أنّ نزهون الغرناطية قالت تخاطب ابن قزمان عقب ارتجال بديع، وكان يلبس غفارة صفراء على زيّ الفقهاء حينئذ: "أحسنت يا بقرة إسرائيل إلاّ أنك لا تسرّ الناظرين، فقال لها: إن لم أسرّ الناظرين فأنا أسرّ السامعين [24]. تشير إلى قوله تعالى: ﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ** ﴾[25].

وقبل أن نغادر الأندلس وظُرّافها وأدباءها السّاخرين، يحسن بنا أن نقف أمام أثَرَيْن أدبيين خالدين، أخذا طابع المقامة، وهما رسالة التّوابع والزّوابع لأبي عامر بن شهيد الأندلسي، والرّسالة الهزلية لابن زيدون.

فقد اتّخذ ابن شهيد المقامة إطارا لكتابته في رسالته الموسومة بالتّوابع والزّوابع، والتي أراد من خلالها السّخرية من خصومه، فأظهر فيها براعته اللّغوية في المنظوم والمنثور، عند لقائه بالأدباء المتقدمين مهم والمتأخرين، فلا يجازى بعد كلّ لقاء إلاّ شاعرا أو خطيبا.

فبدأ رسالته بمخاطبة صاحبه أبي بكر بن حزم، وحاكى في هذه الرسالة لغة المقامة، بما التزم فيها من سجع، وما حملت من محسّنات، وصف فيها الحياة الأدبية والاجتماعية في قرطبة، ونقدها نقدا تهكّميا لاذعا، بسبب كثرة خصومه وحسّاده، فطعن في منافسيه من الوزراء والأدباء وأرباب الحجى، وأظهر محاسنه وفضائله.

لذلك لا نجده لا يتحرّج في أن يغمز بأهل قرطبة، من عدم وجود فرسان الكلام بها، في المنظوم والمنثور.

يقول ابن شهيد في لقاء مع توابع الكتاب- وخاصّة تابعي الجاحظ وعبد الحميد-إذ ليس لسيبويه في كلامهم عمل، ولا للفراهيدي إليه طريق، ولا للبيان عليه سمة، إنّما هي لكنة أعجمية يؤدون بها المعاني تأدية المجوس والنبط[26].

ويسخر ابن شهيد باتّضاع الوزارة وخسرانها، وتولي المناصب من ليسوا لها أكفاء، بأسلوب في غاية التّهكّم، من خلال الحوار الذي دار بينه وبين البغلة:"وقالت لي البغلة: أما تعرفني أبا عامر؟ قلت: لو كان ثمّ علامة؟ فأماطت لثامها، فإذا هي بغلة أبي عيسى، والخال على خدّها، فتباكينا طويلا، وأخذنا في ذكر أيامنا. فقالت: ما أبقت الأيام منك؟ قلت: ما ترين. قالت: شبّ عمرو عن الطّوق، فما فعل الأحبّة بعدي. أهم على العهد؟ قلت: شبّ الغلمان وشاخ الفتيان وتنكّرت الخلاّن، ومن إخوانك ما بلغ الإمارة وانتهى إلى الوزارة. فتنفّست الصّعداء. وقالت: سقاهم الله سبل العهد، وإن حالوا عن العهد، ونسوا أيام الودّ، بحرمة الأدب إلاّ ما أقرأتهم منّي السّلام. قلت: كما تأمرين وأكثر[27].

يستعيض ابن شهيد الأندلسي بالحيوان، ليَبُثَّه حزنه وأساه من تذكّر الأصحاب، وبلوغ بعضهم درجة الوزارة وتنكُّرهم له، كلّ هذا بأسلوب مضحك ساخر، لأنّ ذلك أعمق وأبلغ من الأسلوب المباشر الجاف، ومن النقد والتجريح الذي يصل إلى حدّ الهجاء.

فابن شهيد حرص على أن يجعل من نفسه مؤلّفا كوميديا، ممّا يوحي بالاعتقاد أن التوابع والزوابع"مسرحية كوميدية حرص مؤلّفها على أن يوحي لأهل الأندلس وخصوصا القرطبيين الذين يريد إضحاكهم أنه يتحقّق له التفوّق أو" الندية" على الأقلّ، للشّخصيات الشّاعرة والناثرة في روايته، ولكن ليس أقلّ مهم بأية حال، لا في الذكاء ولا في الثّقافة ولا في أيّ مجال[28].

أمّا ابن زيدون فقد كتب رسالة هزلية عبث فيها بأبي عامر بن عبدوس، منافسه في حبّ ولادة بنت المستكفي، نزع فيها منزع الجاحظ في العبث والسّخرية والاستخفاف والتّهكّم بشخص أحمد بن عبد الوهاب في رسالة التربيع والتدوير الشهيرة.

كان بين (ابن زيدون) و (ابن عبدوس) عداوة أصيلة بعد صداقة متينة، وكان أكبر أسباب تلك العداوة تنافسهما أو صراعهما على ولاّدة الأديبة الشاعرة بنت المستكفي.

وممّا جاء في تلك الرسالة:"أمّا بعد أيُّها المصاب بعقله المورط بجهله، البيّن سقطه، الفاحش غلطه، العاثر في ذيل اغتراره، الأعمى في شمس نهاره، السّاقط سقوط الذّباب على الشّراب، المتهافت تهافت الفراش على الذّباب[29]، ويواصل ابن زيدون تهكّمه في الرسالة الهزلية التي دبّجتها براعته في صورة سخرية لاذعة، "كلامك تمتمة وحديثك غمغمة، وبيانك فهفهة، وضحكك قهقهة ومشيك هرولة، وغِناك مسألة، ودينك زندقة، وعلمك مخرقة[30].

رسالة ابن زيدون مبنيّة على الاعتداد الشّخصي من خلال الحطّ من قيمة ابن عبدوس، وتمريغ سمعته في الوحل، ليظهر في مواقف تثير الضّحك والتندر، والسّخرية قائمة فيها على المقابلة بين الحقّ والباطل، وبين الحقيقة والزّيف، وبين الكمال والنقص، وبين الطّمع والتكلف، وبدقيق العبارة بين الأضداد.

ويواصل ابن زيدون الثّأر من غريمه بأسلوب ساخر:"واستويت في مراتب الجلال، واستوليت على محاسن الخلال، حتّى خُيّلت أن يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه، وأنّ امرأة العزيز رأتك فسلت عنه، وأنّ قارون أصاب بعض ما كنزت، والنَطِفَ عثر على فضل ما ركزت، وكسرى حمل غاشيتك، وقيصر رعى ماشيتك[31].

نجح ابن زيدون في إغراق (ابن عبدوس) في طوفان التّهكّم، حتى جرفه تيار السّخرية إلى قاع عميق، وكأنّنا نقرأ رسالة الترييع والتدوير للجاحظ في ابن عبد الوهاب، ولا شكّ ابن زيدون تأثر هو أيضا بالمدرسة الجاحظية الكاريكاتورية.

وهكذا سارت الفكاهة الأندلسية والأدب السّاخر الأندلسي جنبا إلى جنب مع شقيقهما المشرقي، وربّما استقى الأول من رافد الثّاني، بيد أنّ ما وصلنا من أدب السّخرية الأندلسي قليل بالنّظر إلى ما تناقلته الرّواية الشّفوية، ولم يدوّن في القراطيس، وإلى هذا يشير المقّري بقوله:"ولشطّار الأندلس، من النّوادر والتنكيتات، والتّركيبات وأنواع المضحكات، ما تملأ الدواوين كثرتُه، وتضحك الثّكلى وتسلي المسلوب قصّته، ممّا لو سمعه الجاحظ لم يعْظُم عنده ما حكى ومارّكب، ولا استغرب أحد ما أورده ولا تعجّب، إلاّ أنّ مؤلّفي هذا الأفق طمحت هممهم عن التّصنيف في هذا الشّأن فكاد يمرُّ ضياعا، فقمت محتسبا للظّرف، فتداركته جامعا فيه ما أمسى شعاعا[32].

الهوامش

- **القرآن الكريم – رواية ورش عن نافع.**

1. أحمد بن محمد المقّري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- تحقيق إحسان عباس- دار صادر- بيروت- دط- 1408هـ/1988م مج 01- ص 121.
2. – المرجع نفسه – مج 03- ص 381.
3. ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة- تحقيق: إحسان عباس- الدار العربية للكتاب- ليبيا/تونس-1395هـ/1975م- القسم 01- م01- ص 483. 484.
4. ينظر: جبرائيل جبور- ابن عبد ربه وعقده- منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت- 1979- ط02- ص 114. 115.
5. ينظر:العقد الفريد- أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي (توفى 328هـ) – تحقيق محمد قميحة – دار الكتب العلمية – بيروت – ط01- 1404هـ-1983م- ج 08- ص 90.
6. المرجع نفسه – ج 07-ص157.

7. أبو عبد الله لسان الدين الخطيب (ت 776هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة – تحقيق يوسف علي الطويل –دار الكتب العلمية – بيروت – ط01 – ج01 –1424هـ/2003م – ص 180/179.
8. ابن بسّام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة– القسم 01- مج01- ص 192.
9. المرجع نفسه.
10. المقّري: نفح الطيب– ج 04-ص 166.
11. ابن بسّام: الذخيرة– القسم04- مج 01- ص 367.
12. ابن سعيد المغربي: المغرِب في حُلى المغرب– تحقيق شوقي ضيف – دار المعارف – مصر – ط02 – د.ت – ج02- ص 130.
13. ابن بسام: المرجع السابق– القسم 03 – مج02 – ص 906/905.
14. المرجع نفسه.
15. – المرجع نفسه– القسم 03– مج02– ص907.
16. ابن حيان: المقتبس– تحقيق: محمد علي مكي– دار الكتاب العربي– بيروت– دط– 1973– مج 01- ص66/65.
17. المقّري: نفح الطيب– ج03- ص234.
18. ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب– ج02- ص127/ 128.
19. المرجع نفسه– ج01– ص400.
20. ابن زيدون: الديوان– تحقيق كرم البستاني – دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت – د ط – 1399هـ/1979م – ص 284.
21. المقّري: نفح الطيب– ج04– ص206.
22. سعد بوفلاقة: الشّعر النسوي الأندلسي، أغراضه وخصائصه الفنية– ديوان المطبوعات الجامعية– الجزائر– دط - 1995- ص 111.
23. ابن زيدون: الديوان– ص 288.
24. ينظر: المقّري: نفح الطيب– ج04- ص296.
25. سورة البقرة– الآية 69..
26. ابن شهيد الأندلسي: رسالة التوابع والزوابع– تحقيق: بطرس البستاني– دار صادر– بيروت– دط– دت– ص 117.
27. المرجع نفسه– ص149.
28. حسين خريوش: أدب الفكاهة الأندلسي– منشورات جامعة اليرموك– عمان– 1982- دط– ص62/61.
29. ابن زيدون: ديوان ابن زيدون رسائله أخباره– شرح وضبط وتصنيف– كامل كيلاني وعبد الرحمان خليفة – مطبعة البابي الحلبي وأولاده – مصر – ط01 – 1351هـ / 1932م – ص 314.
30. المرجع نفسه– ص 327.
31. المرجع السابق –ص 315.
32. المقّري: نفح الطيب–ج03- ص156.